قال الحرث بن همام فأخبرت أن بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا
الحسان فضلوها على وصايا لقمن وحفظوها كما تحفظ أم القرآن حتى
أنهم يرونها إلى الآن أولى ما لقنوه الصبيان وأنفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون

حكى الحرث بن همام قال أشعرت في بعض الأيام هما برح بي استعاره ولاح
على شعاره وكنت سمعت أن غشيان مجالس الذكر تسرو غواشي الفكر فلم أر
لإطفاء ما بي من الجمرة إلا القصد الجامع بالبصرة وكان إذ ذاك مأهول المساند
مشفوه الموارد تجتنى من رياضه أزاهير الكلام ويسمع في أرجائه صرير الأقلام
فانطلقت إليه غير وان ولا لاو على شان فلما وطيت حصاه واستشرفت أقصاه
ترايى لي ذو أطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم
ولا ينادي وليدهم فابتدرت قصده وتوردت ورده ورجوت أن أجد شفاي
عنده ولم أزل أتنقل في المراكز وأغضي للاكز والواكز إلى أن جلست تجاهه
وبحيث أمنت اشتباهه فإذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه
فسري بمرآه همي وارفضت كتيبة غمي وحين رآني وبصر بمكاني قال يا أهل البصرة

رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم فما أضوع رياكم وأفضل مزاياكم بلدكم أوفى
البلاد طهرة وأزكاها فطرة وأفسحها رقعة وأمرعها نجعة وأقومها قبلة
وأوسعها دجلة وأكثرها نهرا ونخلة وأحسنها تفصيلا وجملة دهليز
البلد الحرام وقبالة الباب والبيت والمقام وأحد جناحي الدنيا والمصر المؤسس على
التقوى لم يتدنس ببيوت النيران ولا طيف فيه بالأوثان ولا سجد على أديمه
لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد المقصودة والمعالم المشهورة
والمقابر المزورة والآثار المحمودة والخطط المحدودة به يلتقي الفلك والركاب
والحيتان والضباب والحادي والملاح والقانص والفلاح والناشب والرامح
والسارح والسابح وله آية المد الفايض والجزر الغايض وأما أنتم فمن لا
يختلف في خصايصهم اثنان ولا ينكرها ذو شنآن ردهما وكم أطوع رعية
لسلطان وأشكرهم للإحسان وزاهدكم أورع الخليقة وأخشنهم طريقة على
الحقيقة وعالمكم علامة كل زمان والحجة في كل أوان ومنكم من استنبط علم
النحو ووضعه وابتدع ميزان الشعر واخترعه وما من فخر إلا ولكم فيه اليد
الطولى والقدح المعلى وأنتم به أحق وأولى ثم إنكم أكثر أهل الأرض مؤذنين
وأحسنهم في النسك قوانين وبكم اقتدي في التعريف وعرف التحجير في الشهر الشريف